من تراب الطريق (٣٧٣) صواب رؤية قديمة ؟!(*)

وقعت فى أضابير أرشيفى ، على سطور كنت قد كتبتها لإذاعة صوت العرب فى أواخر ستينيات القرن الماضى ، عن كتاب صدر بطبعتين : إنجليزية ، وعربية .. للأستاذ هنرى كتن Henry Cattan .. عنوان الطبعة الإنجليزية الموجهة أساسا إلى الغرب Palastine , The Arabs and Jsrael . The search for justice

وعنوان الطبعة العربية : فلسطين فى ضوء الحق والعدل .

والأستاذ هنرى كتن ، ولا أعرف أين هو الآن ، وهل هو لا يزال حيًا أم لاقى ربه ، محام فلسطينى الأصل ، ينتمى إلى أسرة عربية عريقة من أسر بيت المقدس .. درس القانون ثم قام بتدريسه بعد ذلك بمدرسة الحقوق بالقدس ، ومارس المحاماة بفلسطين قبل النكبة ، فلما اضطر للنزوح عاش ومارس المحاماة فى سوريا ، ثم فى لبنان ، وانتقل بعد ذلك إلى انجلترا ، حيث زاد إتقانه للغة الإنجليزية التى كتب بها الطبعة الإنجليزية فى خطاب موجه إلى العالم ، وهو ما رأيناه فى كتابات جبران خليل جبران ، والمفكر العربى الفلسطينى الأصل الدكتور إدوارد سعيد ..

(*) المال ١٥/ ١٢/ ٢٠٠٩

اجتمعت للأستاذ هنرى كتن خبرات ، وملكات انعكست فى مادة هذ الكتاب الذى يحرك الأشجان .. فقد امتلك العقلية القانونية التحليلية ، وألم بعناصر القضية التى عاش أحداثها يوما بيوم ، وشارك فى الدفاع عن الحق العربى كممثل لعرب فلسطين أمام الأمم المتحدة ضمن وفدها لبحث القضية مع الكونت برنادوت ، فضلا عن تمكنه من اللغة الإنجليزية التى خاطب بها الضمير العالمى فى الطبعة الإنجليزية للكتاب !

مما شدنى فى هذا الكتاب الضافى ، واستحضره الآن ـ ما رأيناه يحدث ضد الأقلية الإسلامية فى سويسرا ، ونراه فى حالات التمييز ضد الدين الإسلامى فى بعض الدول الغربية .. شدنى فى الكتاب نبأ لجنة كنج ـ كرين (١٩٢٩) وما أعربت عنه من أنه من المشكوك فيه أن يستطيع اليهود أن يبرزوا أمام المسيحيين أو المسلمين بوصفهم حراسا صالحين على المقدسات فى مدينة الأديان .. سبب عدم الصلاحية أن الأماكن المقدسة المسيحية والإسلامية غير مقدسة عند اليهود ، بل هى مكروهة لديهم !

هذه البدهية غابت الآن عن العالم الغربى ، مع أنه يستحضرها كل يوم ما تجريه وتحيكه إسرائيل حول وتحت المسجد الأقصى .. فاليهود ينكرون الإسلام ، وهم أيضا ينكرون وأنكروا المسيح عليه السلام ، ولا يحول ـ الآن ! ـ بينهم وبين المقدسات المسيحية فى القدس ، سوى احتياجهم اليوم للغرب !

على النقيض من ذلك ، نجد الإسلام يقر باليهودية والمسيحية ولا ينكرهما ، وتنعم المعابد اليهودية والكنائس المسيحية بالأمان والرعاية

فى المجتمعات الإسلامية ، ورأينا ونرى أبراج الكنائس بجوار مآذن المساجد فى مصر وفى كثير من البلدان ذات الأغلبية الإسلامية .. ولم يحدث فى مصر ما رأيناه يحدث فى سويسرا بذريعة استفتاء لا تقره فكرة النظام العام .. الداخلى أو الدولى .. فالباطل لا يدلى إلاَّ بباطل ، ومادام المراد باطلًا منافيا للنظام العام الذى ترتضيه الجماعة الإنسانية ، بات محظورا إقراره ـ أى الباطل ـ بقرارات أو بقوانين أو استفتاءات !! وإلاَّ لاختلط الحابل بالنابل ، وانفرط عقد المجتمع الدولى وتحول إلى غابة تفعل فيها كل دولة ما تراه خلافًا للمواثيق والأعراف الإنسانية والدولية بذريعة أنها إستفتت الشعب عليها ، بينما هو استفتاء باطل يصطدم بحقوق الإنسان وبمبادئ القانون الدولى !

عدم التمييز بين الأديان ـ ينبع من «عقيدة» الإنسان .. وأزمة اليهود أنهم لا يقرون بل ينكرون ـ أفصحوا أم أخفوا ـ أى دين تالٍ للديانة اليهودية .. وهى أزمة غير موجودة لدى المسيحيين ، لأن «المحبة» هى الدعوة الحاضرة فى الأناجيل .. تحب فكرة التمييز ضد الآخرين .. لذلك رأينا سويسريا مسيحيا يقيم برجًا كالمئذنة فوق مؤسسته احتجاجا على استفتاء يرى أنه «العار» .. ورأينا منظمة «هيومن رايتس ووتش» تندد بحظر المآذن وتعتبره انتهاكا لحقوق المسلمين فى التعبير وفقا لمعتقدهم الدينى .. بينما الأزمة التى تواجه اليهود لا وجود لها أصلا فى العقيدة الإسلامية ، لأنها تقر بل وتوقر وتجل كافة الأنبياء والرسل ، وتعتبر الإيمان بهم وبرسالاتهم جزءًا لا يتجزأ من

الإيمان بالإسلام .. فيورد القرآن المجيد : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦] .

لذلك رأينا ما كان من احترام عمر بن الخطاب للكنيسة فى بيت المقدس ، ورأينا ونرى المعابد اليهودية وأبراج الكنائس قائمة فى المجتمعات الإسلامية لا يمسها المجتمع بسوء ، ولا يسمح لأحد بالمساس بها .. وهو هو ما تشهد به سيرة الإسلام فى المدينة المقدسة على مدى أربعة عشر قرنا ، لم يهدم فيها معبد أو تحرق كنيسة كالتى حرقت فى إبان الاحتلال الصهيونى للمدينة المقدسة !

إضافة لحق الفلسطينيين فى وطنهم ، وفى القدس عاصمة له ، فإن العقل والحكمة يقتضيان ألاَّ تترك المقدسات الإسلامية والمسيحية فى قبضة الدولة الصهيونية .. زمان ، كان بمستطاع لجنة غربية ، كلجنة «كنج ـ كرين» ، أن تفصح للعالم عن شكوكها فى أن تترك المقدسات المسيحية والإسلامية لعقيدة متعصبة تنكر المسيحية والمسيح كما تنكر الإسلام ورسوله !!

*****